مدرس المادة: م.د. خالد تركي عليوي

القسم: العربي

المرحلة: الثانية

المحاضرة الثانية (طبيعة الانسان في الدين الاسلامي)

العام الدراسي:٢٠١٦-٢٠١٧

خامسا: طبيعة الإنسان في الدين الإسلامي:

الإنسان في نظر الإسلام هو مخلوق كريم على الله تعالى خلقه ربه في أحسن تقويم، و صوره، فأحسن صورته، خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكة ، وميزه بالعلم والإرادة و جعله خليفة في الأرض ، و محور النشاط في الكون ، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعا ، و أسبغ عليه نعمه ظاهرة ، و باطنة فكل ما في الكون له و لخدمته، أما هو فجعله تعالى لنفسه.

يقول الله تعالى في حديثه القدسي : ((ابن آدم خلقتك لنفسي و خلقت كل شيء لك فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له)) . وقال تعالى ((ابن آدم خلقتك لنفسي فلا تلعب ، وتكلفت برزقك فلا تتعب ، ابن آدم اطلبني تجدني ، فان وجدتني وجدت كل شيء ، وان فتني فاتك كل شيء ، وأنا احب إليك من كل شيء)) .

إن الإنسان شيء ضئيل بالنسبة لسعة الكون من حيث حجمه وحياة جسمه ولكنه من حيث روحه وكيانه المعنوي شيء كبير .

فمفهوم كلمة الإنسان مأخوذة من (أنس) والإنس جماعة من الناس والأنيس الذي يستأنس به، و الإنسان من الناس اسم جنس يقع على الذكر و الأنثى .

وتشتق من كلمة الإنسان صفة (الإنسانية) وهي صفة إذا استخدمت فأنها تدل على ما اختص به الإنسان من الصفات ، و أكثر ما تستخدم في العربية للمحامد مثل الجود و الكرم .

ومن اهتمام الإسلام بالإنسان أن لفظه ورد في القرآن الكريم في خمسة وستين موضعا منها قوله تعالى : ((يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك)) سورة الانفطار / ٦-٨ .

وتدل بمجملها على أن الإنسان في القرآن الكريم غير البشر لأن استقراء مواضع ورود كلمة (بشر) في القرآن كله يؤذن بأن البشرية فيه هي هذه الآدمية المادية التي تأكل الطعام وتمشي في الأسواق ، وهو ما يلتقي عليه بنو آدم جميعا .

وأن انذل الإنسانية ليس بمجرد بشر يأكل و يشرب و ليس بمجرد كونه منتميا الى فصيلة الإنس ، و إنما فيه ارتقاء الى الدرجة التي تؤهله للخلافة في الأرض واحتمال تبعات التكاليف وأمانة الإنسان لأنه المختص بالعلم والبيان والعقل والتمييز على ما يلابس ذلك من تعرض للابتلاء بالخير و الشر و فتنة الغرور .

- قدر من الكاربون يكفي لصنع سبعة أقلام رصاص.
- قدرمن الفسفور يكفي لصنع رؤوس (١٢٠) عود ثقاب.
- قدر من ملح المغنسيوم يصلح جرعة واحدة لاحد المسهلات.
- قدر من الحديد يمكن عمل مسمار متوسط الحجم منه.
- قدر من الماء يملأ برميلا سعته (١٠) جالونات.

تلك هي قيمة الإنسان المادية ، لاروح هناك ولانفحة من السماء يختص بها هذا الكائن الذي كرمه الله على جميع مخلوقاته.

يقول أحد الماديين : (هل نحن فكرة أكثر من كون الحشرات فكرة ؟
نحن لانساوي أكثر من أنفسنا ، و كذلك الحشرات) .

جعلوا الإنسان يساوي حشرة صغيرة بلا عقل ولا هدف لأن قياسهم للإنسان مادي ليس غير ؛ وخالق الكون جل وعلا جعله خليفة في الأرض .

ومثل هذه الأمور لا تكفي لقيام حياة صحيحة يحقق الإنسان فيها سعادته إنمايحقق حياة القلق والشقاء والأزمات التي نشأت عن الإنكار لجوانب متعددةفي حياة الإنسان و بخاصة الجانب الروحي وهو ما تعاني منه كثير من بلدان الحضارة المادية المعاصرة .

على سبيل المثال السويد دولة متطورة تلبي كل حاجات المواطن؛ هناك المسكن والزوجة والسيارة و الوظيفة المناسبة ، ولكن لوجود فراغ روحي ترى نسبة الانتحار في بلد السويد أكثر من باقي البلدان السبب هو جعل ايطار حياة الإنسان هي المادة والعمل بلا توقف مما يؤدي الى حالة نفسية تفقد الإنسان أعصابه فتؤدي الى الانتحار .

وأول ما يقال في هذه الفلسفات أو النظريات التي تحدثت في طبيعة الإنسان أنها كانت مجرد اجتهادات دعت إليها ظروف الحياة و تغيرات الزمن فإذا زالت هذه الظروف سرعان مازالت معها هذه الاجتهادات لان ما يصلح اليوم لا يصلح للغد.أي أن هذه الدراسات ينقصها أمور منها:

١ ـ معرفة طبيعة الإنسان : و لم يحصل هذا للمدارس الغربية التي ركزت على دراسة العلوم وتجاهلت الإنسان .

٢ ـ دراسة المدارس الغربية للنفس الإنسانية والحياة الإنسانية في معزل عن الله تعالى ، و استغنت عن ذلك بالربط بين هذه الدراسات بالتأثيرات الجغرافية أو الاقتصادية أو الاجتماعية دون ربط هذا كله بقدرة الله تعالى .

و نشأ عن هذا النقص الشيء الكثير من القلق و الشقاء والأزمات لإنسان الحضارة .

قال تعالى :((اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، إن الى ربك الرجعى)) سورة العلق / ١-٨ .

وجميع المواضع التي ورد فيها لفظ الإنسان في القرآن ترى أن الإنسان وحدة كلية لا تتجزء، حصلتها القوى التي زود الله تعالى بها طبيعة الإنسان سواء تلك المادية التي تربطه بالأرض أو تلك القوى الروحية التي تربطه بالكون ، و تلك القوى العقلية التي تمكنه من أن يختار البدائل .

أي أن الإنسان كائن فريد خلقه الله تعالى سويا من المادة و الروح لا يطغى فيه جانب على آخر بتداخل دقيق و امتزاج متوازن .

تقرر منذ اللحظة التي نفخ الله تعالى فيه من روحه في سلالة الطين التي كان منها الإنسان قال تعالى: ((واذ قال ربك للملائكة أني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فأذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)) سورة الحجر / ٢٨ - ٢٩ .

والإنسان بجزئيه الحسي والروحي على صورتين ؛ صورة عامة يتمثل فيها الإنسان الحسي و الروحي ، وصورة خاصة يتمثل فيها اعتقاد الحق و فعل الخير بحسب الطاقة .

فعندما نقول فلان أكثر إنسانية نعني بها أكثر اختصاصا بالحق و الاعتقاد به، وأكثر إيمانا بالخير وعمله .

فألانسان في الدين الإسلامي هو الروح والجسد بصورتيهما العامة والخاصة بهما تقوم الحياة على أساس من الموازنة فلا يجوز للإنسان أن يبخس الجسد حقه ليوفي حقوق الروح و لا يجوز أن يبخس الروح حقها ليوفي حقوق الجسد .

ويلاحظ أن بعض الآيات التي فيها مادة (إنسان) تشير و كأنه لا خلاف بين ما تعنيه ، و ما تعنيه مادة (بشر) و بخاصة في الصفات السلبية ، ومن هذه الآيات قال تعالى : ((قتل الإنسان ما أكفره)) سورة عبس / ٧ .

و قال تعالى : ((بل يريد الإنسان ليفجر أمامه)) سورة القيامة / ٥ .

كما يلاحظ هذا في بعض الآيات التي وردت فيها مادة (بشر) وبخاصة في مخاطبة الناس للأنبياء،أو الأنبياء للناس ومن هذه الآيات :

١ - قال تعالى : ((ما أنت إلا بشر مثلنا)) سورة الشعراء / ١٥٤ .

٢ - قال تعالى : ((إن هذا إلا قول البشر)) سورة المدثر / ٢٥ .

٣ - قال تعالى : ((قل إنما أنا بشر مثلكم)) سورة فصلت / ٦ .

وسرعان ما تزول هذه المساواة في المعنى إذا ما علمنا أن الإنسان بشر بالدرجة الأولى ، و أن الإنسان والبشر يشتركان في كل صفات البشر ،و الآدمية إلا أنهما يتمايزان في صفات الرقي ، و التهذيب ، و الحق ، و العدل ، و المعرفة ، و الثقافة خاصة عند التطبيق .

و هذا المعنى يؤكد حقيقة التربية و الثقافة أن البشر ليسوا على درجة واحدة من العلم ، و المعرفة و الخلق الحسن ، ولذلك جعل الحق سبحانه أساس التمايز بين البشر هو التقوى لأنها متفاوتة بين البشر

فالإنسان و البشر يشتركان في الصفات البشرية ،والآدمية إلا أنهما يتمايزان في أوصاف الخير ، و العلم ، المعرفة ، و الأخلاق .

ولذلك نجد نوعا من الآيات التي وردت فيها مادة (إنسان) تؤكد على تميزه بالعقل ،و النظر ، والحكمة ، و العلم .

و لا نجد شبيها لها في الآيات التي وردت فيها مادة (بشر) و من هذه الآيات :

١ - قال تعالى : ((بل الإنسان على نفسه بصيرة)) سورة القيامة /١٤ .

٢ - قال تعالى : ((يوم يتذكر الإنسان ما سعى)) سورة النازعات / ٣٥ .

و ليس غريبا هذا الفارق إذا رجعنا الى مراتب الصالحين ، و درجات الطائعين ، والآيات الكثيرة التي تثني على هؤلاء .

و بمقارنة هذا المفهوم الإنساني في طبيعة الدين الإسلامي مع مفهوم الإنساني عند أهل الحضارة المعاصرة يظهر لنا جليا حجم الفهم الحضاري المعاصر للإنسان و أنه يقتصر على الجزء المادي أو الحيواني ، أو البشري ، و هذا الجزء حيّرهم ، و عجزوا عن تلبية حاجاته فما بالك بجهلهم ببقية الأجزاء الهامة من الإنسان و بخاصة الإنسانية .

و هذا يعني خطأ الاهتمام بجانب من الجوانب الإنسان على حساب بقية الجوانب الأخرى و ربما تجاوز الخطأ الى الهلاك ،والدمار و هو الذي حصل للأهل الحضارة المعاصرة .

سادسا: مكانة الإنسان في منظور الحضارة المادية المعاصرة .

نشأت الفلسفة المادية في أوربا في عصر النهضة الأوربية و ما ولّد من صراع بين رجال الكنيسة ، بين القوى الجديدة في حقول التجارة ، و العلم ، و الفن ، و السياسة ، و غيرها من حقول المجتمع .

و كان هدف القوى الجديدة في بداية الأمر هو عزل الدين الكنيسي عن حياة المجتمع ، و تصفية اللاهوت المسيحي مما هو غير عقلاني .. مثل أسرار عقيدة التثليث ، والطبيعة الإلهية للمسيح (عليه السلام) ، و رفع الوصاية الكنسية .

ثم تطورت الفكرة لتصبح الفلسفة المادية العلمانية ثورة على الدين على يد بعض العلماء مثل: (فيور باخ) و (دارون) و (ماركس) و (لينين).

و لم تقف عند هذا الحد بل عملت على تخليص الفرد من الدين و تحريره من مؤسساته، وصارت ترى الفلسفة المادية أن الإنسان برز الى الوجود وحده، ويعيش وحده، ويموت وحده، و بموته تنتهي قصة حياته في هذه الحياة.

أي أن الإنسان شيء منفرد مادي يعيش، و يموت و كأن شيئا لم يكن مما نتج عن ذلك شعوران:

- **الشعور الأول:**

شعور الإنسان بأنه سيحل محل الإله سبحانه بما عرف من قضايا العلم الجديدة التي تسير شؤون الحياة و بخاصة بعد أن استطاع العلم أن يحقق للبشرية تقدما في الكشوف، وإنتاجا في المصانع، ومتاعا في الحياة الأمر الذي جعل أحدهم يقول: (إن الإنسان في العالم الحديث أصبح هو المنشئ المريد)، و قال آخر (إن أوروبا قد نبذت اليوم إلهها و آمنت باله جديد هو العلم).

و قال آخر يدعى (جوليان هكسلي) في كتابه الإنسان في العالم الحديث: (إن الله كان خرافة خلقها الإنسان لتؤنسه حين أحس بالوحشة في هذا الكون و انه قد آن الأوان لنبذ هذه الخرافة و لأن يضع الإنسان نفسه مكان الله).

فروسيا الشيوعية سابقا كفرت بالله، وأقامت فلسفتها على أساس أن الإنسان هو وحده مصدر المعرفة، وليس الله تعالى، و أن الفكر الإنساني لا الوحي الرباني هو مرجع الإنسان في كل شيء في هذه الحياة، و أن قضايا الألوهية، و الكون، و الحياة تقوم على أساس مادي بحت، وأن كل ما في الكون انبثق عن المادة و محكوم بقوانينها.

وانعكس هذا المفهوم على الإنسان، و أصبح يمتلئ أنانية و غطرسة، و كبرياء، و لا يرضى أن يرى أحدا في العالم ندا له فضلا عن أن يراه فوقه.

و هو في الوقت نفسه لا يرضى أن يكون مسؤولا أمام أحد لأنه يريد أن يحقق أهدافه و شهوته و لو بالبطش، و الظلم مع اعتقاد منه أنه صاحب حق لا ينازع فيه.

و خفي على هؤلاء أو تجاهلوا ما يتصف به الإنسان من بقية القيم و الفضائل من شرف و كرامة، و عزة و صاروا يتعاملون على أساس تحقيق المصالح دون اعتبار لهذه القيم الإنسانية.

ومرد ذلك كله تلك التصورات السلبية من أصحاب الفلسفات، و المذاهب المادية المعاصرة التي تجرد الإنسان من التصورات الإيجابية لتجعل منه مجرد آلة طيّعة لخدمة أغراضها و شهواتها القائمة على الأنانية، و الغطرسة، الغرور.

الشعور الثاني:

إن الإنسان صار يشعر بأنه تافه ضائع و أن نفسه نفس حيوانية بحتة . أي صار يفقد الشعور بإنسانيته كانسان مميز على الخلق أو أنه أفضل المخلوقات ، و أكرمها ، و أصبحت الحياة و بخاصة بعد أن عجز العلم عن توفير السكينة للنفوس أو إشاعة الطمأنينة ، الرحمة ، و الرحمة ، والتعاطف في المجتمع شهوة عارمة لا ترتوي ، وصراعا مسعورا بين الأمم ، و الأفراد لا يهدأ.
قال (سومرست موم) : (إن أوروبا قد نبذت إلهها ،وآمنت بإله جديد هو العلم و لكن العلم كائن متقلب فهو ينفي اليوم ما أثبته بالأمس ، ويثبت غدا ما نفاه اليوم و لذلك تجد عبّاده في قلق دائم لا يستقرون) .
فالإسلام يبطل التصورين السابقين ؛ الشعور بالغطرسة ، و الألوهية ، والشعور بالذل ، و المهانة و يعرّف الإنسان على حقيقة أمره حين يقول له تعالى : ((فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب)) سورة الطارق / ٥- ٧
و قال تعالى : ((أو لم يرى الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين و ضرب لنا مثلا و نسي خلقه)) يس / ٧٧-٧٨ .
في هذه الآيات تنديد بغطرسة الإنسان ، كبريائه حين يعرف أنه كان من نطفة ماء نفذت في رحم الأم ،ثم تحول الى مضغة ، ثم نفخ فيه الروح ، وخلق له بقية أجزاء جسمه و هكذا الى أن خرج الى نور الحياة ، ليقضي أطوار الطفولة بما فيها عن عجز ، وقصور ، ثم الشباب و ما فيها من طيش ،و حركة ثم الشيخوخة حيث الضعف ،والعجز ،ثم ينطفئ فيموت فيوضع في القبر .
و أنه طول هذه الفترة لا يملك لحظة أمن تحب نفسه الحياة ، وأنه عالة في ذلك كله على القوة العظمى التي تمنحه الحياة متى تشاء ، وتسلبه إياها متى تحب ، فكيف يخرج على هذه القوة ، ولا يبالي بأحكامها ، ويرغب عن الاعتراف ، و التعبد لها .
و من جهة ثانية ، فان الإسلام يبين للإنسان أنه ليس ذليلا ، ولا مبتذلا كما يظن أو يفكر و إنما هو مكرّم قال تعالى : ((و لقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)) سورة الإسراء / ٧٠ .
فالإسلام أعطى للإنسان منزلة عالية ليس فوقها إلا الله تعالى . فهو سيد المخلوقات لا يخضع للنظرة الجزئية التي تسوي بينه ، بين بقية المخلوقات كأي ظاهرة من الظواهر الطبيعية التي تخضع لها الفيزياء ، أو العلوم الحياتية . لأن الإنسان في الإسلام هو المبدع للحضارة المكتشف لإسرار الطبيعة، و خواص العناصر المصمم للآلات ، الأجهزة المختلفة و لذلك لا يسوى بسائر المخلوقات ، أو الظواهر المادية في الكون .

سابعا: مكانة الإنسان في منظور الشريعة الإسلامية .

خلق الله الإنسان و خصه بمنزلة لم يعطها لأحد غيره ، و ميّزه بميزات كثيرة لا يعلو عليها أحد إلا الله تعالى .

قال تعالى: ((و لقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر والبحر و رزقناهم من الطيبات ..)) سورة الإسراء / ٧٠ .

و يظهر هذا التكريم في القرآن الكريم بصور أو أحوال سامية متعددة منها :

١ - يشير القرآن إلى قرب الإنسان من الله تعالى ، وقرب الله تعالى من الإنسان .

قال تعالى : ((وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان)) سورة البقرة / ١٨٦ .

٢ - يشير القرآن الى حال معية الله تعالى للإنسان في قوله تعالى : ((ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا)) سورة المجادلة / ٧ .

٣ - و يعظم تكريم الله تعالى للإنسان عندما نجده قد أكرمه بالتسوية و النفخ فيه من روحه قال تعالى : ((فإذا سويته ونفخت فيه من روحي)) سورة الحجر / ٢٩ .

٤ - و يبلغ تكريم الله تعالى للإنسان حدا لم يبلغه أحد غيره عندما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود له سجود احترام، و تقدير لا سجود عبادة و تعظيم قال تعالى : ((و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ...)) سورة البقرة / ٣٤ .

٥ - و من تكريم الله تعالى للإنسان أن حرره من العبودية لغير الله تعالى مثل عبادة الأصنام لأن الذي يشعر بكرامته يشعر بالانتساب الى الله تعالى الواحد الأحد ، وعبودية الإنسان لله تعالى فيه تحرره و بالذات من نفسه و هواه .

٦ - و يشير القرآن الى استخلاف الله تعالى للإنسان على الأرض و هي الشهادة له بأنه قادر على تحمل المسؤولية ، وهو ما لم يحصل لغير الإنسان . قال تعالى : ((و إذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة)) سورة البقرة / ٣٠ .

٧ - و من تمام التكريم الرباني للإنسان أن شرع له ما يحفظ به تلك المكانة التي خصه بها من خلال ما يعرف عند الفقهاء بحفظ الضرورات الخمس التي بها حياة الإنسان و هي :

أ - **حفظ الدين** : و من أهم ما جاء في حفظ الدين أنه يكرم الإنسان حتى لا يصبح عبدا ذليلا لشيء من المخلوقات في الكون ، و لذلك حرّم الدين الإلحاد ، والردة ، والكفر ، والزندقة ،والتيارات التي تؤدي الى الإلحاد أو الكفر لأنها ضد مصلحة الإنسان فكرا ، وقولا ، وعملا قال

تعالى : ((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون))

سورة التوبة / ٣٢ .

و يترتب على حفظ هذه الضرورة - الدين - إعداد جيل يدافع عن كرامته ، وإنسانيته التي حفظها له الدين .

ب - حفظ النفس : و من أهم ما جاء في المحافظة على النفس تحريم قتلها بغير حق ، واعتبر قتل النفس المؤمنة بمثابة قتل الناس جميعا . قال تعالى : ((من اجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، و من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)) سورة المائدة / ٣٢ .

وقد وضعت الشريعة الإسلامية في أبواب الحدود من الفقه الإسلامي الأحكام التي تحفظ النفس ، التي يترتب على معرفتها احترام أرواح الآخرين ،و البعد عن القتل أو ما يقرب من القتل ، كالثأر أو الانتقام ، أو الاعتداء على النفس بمختلف الأساليب ، و الأشكال .

ج - حفظ المال : المال قوام الحياة إذا فقده الإنسان فقد الحياة و لذلك اعتبره الحق سبحانه وتعالى أمانة ينتفع به الإنسان الى أجل في وجوه الخير ، ومنعه من استخدامه في الشر قال تعالى :

((يآأيها الذين أمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)) سورة النساء / ٢٩ .

و لذلك وضعت الشريعة الإسلامية أحكام العناية بالمال لما يترتب على معرفتها من الإسراف أو التبذير ، واحترام المال العام ، والخاص ، وتشجيع العمل في الوجوه المشروعة التي لا تضر بالإنسان .

د — حفظ العقل : و أما العقل فلأنه الأداة المباشرة التي يستطيع الإنسان بها المعرفة ، والتفكير في أسرار الكون ، ومعرفة ما وراء الحس و بخاصة معرفة العلاقة بين الخالق ، و المخلوق لذلك حرمت الشريعة الإسلامية تناول المسكرات بكل أنواعها إذ في ذلك حماية للعقل من الذهاب ، و حماية لكرامة الإنسان .

و — حفظ العرض : ومن أهم ما جاء في المحافظة على العرض ، والنسل ، والأنساب فإنها تعني حماية الزوجية من الخيانة و لتحقيق ذلك جعل الله تعالى الموت رجما بالحجارة لكل زوج تثبت خيانته بشهادة أربعة شهود و مائة جلدة لغير المتزوج ، و وضع لحد القذف — وهو رمي إنسان بالزنا — ثمانين جلدة كل ذلك لحماية الأعراض، و النسل من الضياع . بخلاف المجتمعات الغربية التي لا تهتم لذلك فترى كثرة اللقطاء ، و حالات الاغتصاب التي لا تحصى، و ضياع العائلة التي هي أساس المجتمع .

٨ - جعل الحق سبحانه و تعالى هذا التكريم خاصا بالإنسان المؤمن . قال تعالى : ((و العصر إن